

الكتاب المشتمل على التريمة التي أثرت بالحاطي: فقالت المسترس رالي: وانا لا أنحرم ضياعاً من اجر هذا العمل اذا كنت اول من فكر بالتريمة وأغریت أغنيسة على انشادها. حينئذ قال الاب موراي: لقد احسنتم ايها الكرام في ما نطقتم ولا بد لي من ان أخص الاب فابر الذي نظم الانشودة بسهم فهو والحق يقال جدير بالنصيب الاوفر وانا أخشى يا اغنيسة ان لا يبقى لك الا اليسير بهذا الاجر. ولكن اغنيسة تبست لهذا القول وشمرت بنفسها ان العلي قد استجاب دعاءها وكان قلبها يقطع عزاء وفرحاً

تسريح الابصار

في ما يحتوي لبنان من الآثار

للأب هنري لامنس اليسوعي (تابع لما سبق)

٦ انتشار الامة المارونية (تتمة)

ولمّا كثّر عدد الموارنة في القرون الثامن والتاسع والعاشر اخذوا شيئاً فشيئاً في الاستداد الى الجنوب واحتلوا بلاد جبيل. وممّا يشهد على سكنائهم في معاملتي جبيل والبترون مذ ذاك العهد عدّة كنائس سبق لنا وصفها في مقالاتنا عن كنائس لبنان القديمة (راجع المشرق ٣: ١٨٠). وقد لقي الموارنة في تلك النواحي قوماً من اصل البلاد كانوا يسكنون السواحل والوسط. غير أنّ عددهم لم يكن متوفراً. وكان اكثرهم نصارى يتكلمون باللغة الآرامية وقيمون فيها طقوسهم الدينية. وعندنا أنّ هؤلاء الآراميين لم يلبثوا ان يترجوا بعد قليل بالموارنة امتزج الماء بالروح كما امتزج بهم ايضاً بقايا المردة والجراحة الذين تحلّفوا في لبنان. وكانت مهاجرة سكّان وادي الارط الى لبنان لا تزال متواصلة متتابعة لمزاحمة اليعاقبة واضطهادهم للموارنة وكان المكيّون مع هذا يقطعون بعض قرى لبنان في بلاد البترون وجبيل مثل

كفر شليان وحدتون (١) وبسمايا (٢) ودوما والقرى المجاورة (٣) نحو كفور (٤) وغرزوز وغيرها. وكان الملكية في لبنان يتبعون آنشد في فرائضهم الدينية طقس انطاكية اعني على الراجح ليتورجية القديس يعقوب التي ناقضها بعد ذلك البطريرك ثاودورس بلسمون (٥) واستبدلها بليتورجية القسطنطينية. وفي ما خلا ذلك لم يختلف المكيون عن بقية الآراميين في اصلهم ولغتهم. وما لارب فيه ان الكتابات اليونانية لئصارى لبنان قليلة جداً لا يعرف منها الا كتابتان او ثلاث كتابات. اما الكتابات التي تروى على بعض الصور في سيده نايا بكفر شليان مخطوطة باليونانية فليست هي للوطنيين وانما كتبها مصورون بوزنطيون او مثلها الوطنيون كما وجدوها في امثلة بوزنطية قديمة

وبعض القرى التي كان يسكنها سابقاً المكيون زارها بعد ذلك مأهولة بالوارنة. إماً لأن الوارنة دخلوها فامتزج بهم المكيون. وإماً لأن المكيين هاجروها فانتقلوا الى امكنة غيرها او لاسباب نجهلها

وخلاصة الامر أننا اذا استثنينا اليهود نجد في تركيب الامة المارونية ما نجده في تأليف جميع الامم التي تتركب أصولها من عناصر شتى. وكذلك الامة المارونية اذا اعتبرتها في اواخر القرون المتوسطة رأيتها تتألف من اصول مختلفة اولها واعظمها شأنًا الموارنة المهاجرون الى لبنان من سورية الشمالية وسورية الوسطى ضوى اليهم قوم من الأتراك والطرعاء الذين لاذوا بحمي المردة والجرافة الباقين في لبنان فضلاً عما كان هناك من القطيع الاصليين. فهذه العناصر كلها تمازجت بعد حين وصارت أمة كبرى ذات لغة واحدة وهيئة واحدة وغاية واحدة لا يمكن الآن اصحاب النظر مهما دققوا في البحث ان يفروا جنسياتها الاصلية

فاذا لحظنا نمو الامة المارونية كما تقدم واعتبرنا ان عدد المواليد يفوق كثيراً عندهم

(١) راجع في المشرق (١٠٢٣:٣) مقالاتنا السابقة عن هذين المجلدين

(٢) تاريخ الدوجي (ص ٢٠٧)

(٣) منها كفر حلداء وقد وجدت فيها آثار ابنة للملكيين

(٤) راجع كتاب خزان الكتب في دمشق وضواحيها للاديب حبيب افندي زيات (ص

١١٩ الخ) والمشرق (١٠٤:٥ و ١٠٦)

(٥) راجع المشرق (٣: ٢٧٢)

الوفيات لا نعود نستغرب ما ذكره غليلموس الصوري في تاريخ الصليبيين حيث احصى الموارنة اربعين الفا. وهذا الاحصاء الاجمالي ينطبق على ما روي في تواريخ الاعصار المتوسطة عن الموارنة انهم منتشرون في جهات طرابلس وبلاد البترون وجبيل والجبّة الى نهر ابراهيم . وهو قول صحيح غالباً مع بعض شذوذ كما ستري قريباً عند ذكرنا لقوم من غير المسيحيين سكنوا في ايلات لبنان الواقعة شمالي نهر ابراهيم

وتماً ورد ايضاً في التواريخ الصليبية ذكر مقدم ماروني يدعى سمعان تولى عيتاب في شمالي سورية (١) ولا نعلم من اي فرقة من الموارنة كان أمن الذين في لبنان او ممن تحلفوا في بلاد العواصم . اما كونه من موارنة العواصم فاقرب الى الصواب ونجد قبل هذا العهد قوماً من الموارنة في بلاد ما بين النهرين اشتهر منهم توفيل ابن توما الماروني النجم الرهاوي قال ابن العبري في تاريخ الدول (ص ٢١٩ و ٢٢٠) : « كان رئيس منجمي المهدي وكان على مذهب الموارنة الذين في جبل لبنان من مذاهب النصارى وله كتاب تاريخ حسن ونقل كتابي اوميروس الشاعر على فتح مدينة ايليون في قديم الدهر من اليونانية الى السريانية بقاية ما يكون من الفصاحة . » وكذلك نجد في عبر دجلة بين الموصل وبغداد جماعة من الموارنة ذكرها في القرن الثالث عشر الراهب ريكلد دي مونكروا (Ricold de Montcroix) وروى ان لما مطراً يدبرها (٢) . ولعلّ قيساً الماروني المؤرخ الذي اسهب في ذكره المشرق (٣) : ٢١٥، ٣٥٦، ٤٥١) كان من تلك الجماعة . وعلى كلّ لا نرى احداً من كتبة الموارنة ذكر هذا المطران في ما وراء دجلة . وكل هذا دليل على انّ في تاريخ الامة المارونية اموراً عديدة لم يُحسر بعد عنها اللثام . ومن المحتمل انّ الكتبة سكنوا عن هذا الطران كما سكنوا عن غيره لانّ الاساقفة المارونيين كانوا مدّة الاجيال السالفة كنواب للبطرك ومعاونيه دون كرسي خاص . وانما جعلت لهم مراكز منفردة في القرون المتأخرة فقط

(١) راجع تاريخ مملكة اورشليم Röhricht : *Geschichte des Königreichs Jerusa-*
lem, p. 220, note 6.

(٢) راجع Quatremère : *Mémoire sur les Nabatéens*, p. 149

وكان القرنان الثاني عشر والثالث عشر قرون نهوض وترق في لبنان. وفي ذلك العهد بُنيت كنائس عديدة على طرز خاص ترينها الكتابات السريانية وفيها من نقوش السيفساء والتجاوير الملونة ما سبق وصفه (١). وفي هذه الابنية دليل على وفرة عدد اللبنانيين وهمتهم ولم يزل ينمو هذا العدد ويتزايد حتى هاجروا منهم الى النواحي المجاورة من فلسطين ولأسيّا القدس الشريف وكان لهم فيه عدة كنائس (٢). وكذلك انتقلت منهم مستعمرات الى قبرس ثم رودوس. أما قبرس فقد سكنوها منذ القرن الحادي عشر وزى لهم في هذه الجزيرة ديراً (٣) في تاريخ سنة ١١٢٠. وقد غنوا عظماء حتى انهم كانوا يسكنون منها ثلاثين ضيعة (٤) وكان يرعاهم مطران من طائفتهم. وكان بعضهم في مدن قبرس الكبرى وخصوصاً الماغوصة (٥) وكانت في ذلك العهد واسعة التجارة. أما دخول الموارنة في رودس فنظمت انه جرى على عهد الفرسان المروفيين بالاسبيتلار (Les Hospitaliers) لما احتلوا تلك الجزيرة فتبعهم الموارنة. وكذلك ذهب قسم منهم في القرن السادس عشر مع فرسان رودوس الى جزيرة مالطة ولحق بهم بعض من اخوانهم من موارنة قبرس في اواخر ذلك القرن. ولعل وجود الموارنة في مالطة ممّا ساعد على حفظ العربية ونشرها في تلك الجزيرة. ومن المعلوم ان اهل مالطة يتكلمون باللغة العربية مشوبةً بالفاظ دخيلة من اللغات الاجنبية.

أما حلب فيظهر من نص لثوما الكفرطائي ورد في المشرق (٦: ١١٨) ان الموارنة كانوا فيها منذ زمن قديم لكن اخبارهم في الشهباء مجهولة الى القرن الخامس عشر حيث اتاهم مدد جديد من لبنان (راجع المشرق ١٠٣٩: ٥ في الحاشية الثانية) ولنعوّد الآن الى الموارنة المستوطنين لبنان فانهم كانوا في غمر وازدياد يمتدّون

(١) راجع مقالاتنا عن كنائس لبنان القديمة

(٢) المشرق ٩٣: ١

(٣) راجع سلسلة بطاركة الموارنة للدويجي (الطبعة الثانية ص ٢٢ الحاشية الاولى)

(٤) راجع تاريخ قبرس L. Machéras : *Chronique de Chypre*, trad. f. 15, 16

(٥) وجاء في رحلة يعقوب دي برن (J. von Bern) سنة ١٣٢٦ انه وجد الموارنة في هذه المدينة يقيمون رهبهم على طريقة الروم. ولا نفهم ما يعني بذلك اللطّ يريد ان الموارنة كانوا يستعملون اليونانية في طقوسهم وهي لغة اهل الجزيرة ؟ فهذا ممكن

شيئاً فشيئاً في النواحي المجاورة. قال الدويهي: «وبسبب ما اشتهر به لبنان اوانبذ من الامن والطمأنينة قصده الناس من الاماكن البعيدة (١)» التي يهجروها المهاجرون الى قبرس وجزائر البحر المتوسط

ومع هذا النمو لا نرى الامة المارونية تتقدم الى الامام في القرنين الثالث عشر والرابع عشر. امّا لاجل مهاجرة قسم منها الى قبرس ورودس كما سبق واما لاجل الحروب التي انتشرت في كسروان في ذلك العهد فبقي الموارنة ما وراء نهر ابراهيم وهنا لا بد من تكرار ما قلناه غير مرة في مقالاتنا (٢) ان كسروان ليس من القاطعات التي اوى اليها الموارنة قبل القرن الخامس عشر. وقد اوردنا نصاً للادريسي ذكر فيه وجود اليعاقبة في جونية (المشرق ١٠١٨:١). وان سأل القاري ومن كان يسكن اذن كسروان قبل هذا العهد. اجبنا ان معظم اهل هذه الناحية كانوا من المتأولة او من النصيريين. وكان النصيريون قاطنين ايضاً في بعض جهات لبنان الشمالية كجهات البترون ونواحي النيطرة والعاقورة (٣) لكن عددهم الاوفر انما كان في كسروان. وقد ذكر صالح بن يحيى صاحب تاريخ بيروت (٤) الغزوات التي باشرها نواب الشام في أيام السلطانين الملك الاشرف خليل بن قلاوون والملك الناصر محمد بن قلاوون فحاربوا النصيرية في جبال كسروان ولم يزالوا يناجزونهم القتال حتى اخراجهم من كسروان وجعلوا مكانهم قوماً من التركمان على الاقل في بعض النواحي وبقي كثير من المتأولة معهم. هذا وان اموراً كثيرة من تاريخ كسروان لا تزال مجهولة حتى يومنا. الا أننا نعلم بلا ريب ان النصاري لم يحتلوا هذا الجبل قبل القرن الخامس عشر

ولما كانت اوائل القرن الخامس عشر جعل الموارنة يتجاوزون نهر ابراهيم ويصعدون الى كسروان. وكان انتشارهم فيه سريعاً حتى صارت هذه المقاطعة في القرن السابع عشر كلها لهم. وامتد من ثم الموارنة الى مقاطعتي المتن والشوف. لكننا نقف عند هذا الحد لئلا ندخل في اخبار قريية من عهدنا وليست غايتنا كما قلنا ان نسطر تاريخ لبنان

(١) راجع تاريخ الدويهي (ص ١٤٠)

(٢) راجع المشرق (١٠٦:١)

(٣) ولنا في النصيرية مقالة افرنسية جمنا فيها كل ما يتصل بآثار النصيريين واحوالهم وسماها باسم «النصيرية في لبنان» ونشرناها في مجلة الشرق المسيحي سنة ١٩٠٢

(٤) راجع تاريخ بيروت (ص ٤٤-٥١)

بل ان نيتن بوجه الاجمال كيف انتشرت الامة المارونية . اما تفاصيل اخبارها فليست الآن من شأننا وقد مر منها كثير في الجائنا السابقة وسنورد ان شاء الله غيرها في ما بعد
(ستأتي البقية)

توفير السكان بتقليل الموتان

لمحة صعبة وطبئة للدكتور امين افندي الجبيل

قال المسير برواردل رئيس مدرسة الطب الفخري في باريس : « لن دعوة الطبيب لم تُعد في الهيئة الجامعة دعوة شفاء . فقط بل دعوة وقاية خاصة » . وهو كلام ينشط الاطباء . ويبحث فيهم روح الغيرة ليتداركوا المرض قبل وقوعه وينشروا الفوائد الصحية المانعة من سرّيان الادواء والاسقام . وقد سبق لنا في بعض مقالاتنا المدرجة في البشير وفي تقرير عرضناه آخرًا على دولة متصرف لبنان كلام في اناء عدد السكان بطريقة الزواج وتوفير المواليد وتقليل المهاجرة آفة بلادنا الخيفة في الاوان الحاضر وذكرنا ان لهذه الآفة دواء بفتح موارد للرزق وقد قيل : حيث ينبت رغيث ينبت رجل وذلك اماً باحياء الزراعة وانهاض الصناعة وترويج التجارة واما بتعزيز الآداب وتحبيب الوطن واليوم غايتنا ان نبعث في مهاجرة اشد خوفًا واسوأ مغبة تسوق الناس لا الى البلاد القاصية بل الى المقابر فنبين طرائق الوقاية منها او على الاقل كسر شوكتها وحصر مضارها زريد عدة امراض يذهب كل سنة الوف من الناس ضحيّتها فيخلفون من بعدهم الحشرات . وهي امراض لو اتخذ الاهلون بعض الوسائل السهلة لنجوا من بلاياها وآفاتنا المحقة وازداد عدد السكان بتقليل الموتان

﴿ الجدري ﴾ انّ اول هذه الاسقام المضيئة والعلل الفنية الجدري وكل يعلم ما لهذا الداء من الايادي السود في تاريخ بني آدم فانه ملأ المقابر بفرائسه فضلًا عن شوه محاسنهم . وكان الناس يخافون الجدري سابقًا اكثر من داء الهواة الاصفر . ولا غرو فانه كان اذا دخل بلدة اوقف حركة الاشغال وعمّم الفقر ونشر الخراب والموت . وكان الاهلون يلتجئون لاستدراك شره الى آفة من جنسه فكانوا يعمدون الى صديد